Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

-1-

دوستويفسكي كاتب من فصيلة الكتّاب السَّحرة.

هذا هو رأيي الافتتاحي به، أي رأيي المبكر، وقد راح يتوكد ويتعمق يوماً بعد يوم. ومنذ قرأته على عجل في المرات الأولى، فهو كاتب لا يكشف عن بناءات نصه بسهولة ولا بتعب، ويُجهد قراءه كثيراً قبل أن يكتشفوا الأعمدة الأساسية الأولى التي بنى عليها أو التي شدّ إليها نسيج أعماله، فهو لا يعطي القارئ سوى معرفة الأحداث ومغازيها، وإن تعمق، توصّل إلى أنه كاتب مفتون بالأعماق، وإن اجتهد أكثر قال إن هذا الكاتب يعمل حفّاراً في منجم اسمه الذات البشرية.

شغلني دوستويفسكي وفتنني ولا يزال، فهو كاتب لا يلقي إلا بعض المفاتيح بين يدي الدارس، ونصه لا يشير إلا إلى بعض الأبواب والنوافذ والممرات، وإن وضّح الأمكنة والآفاق فهو لا يوضّح أو يؤطر سوى ما هو بادٍ ومنتظر من القارئ، ذلك لأن دوستويفسكي يعمل في اتجاهات ثلاثة في وقت واحد، فهو إن تحدث عن الخطيئة قارب المثالية وأشار إلى العقاب والثواب معاً، وإن تحدث عن رحابة المكان الذي تجول فيه الشخصية شدّها إلى مجهولية المكانين الآخرين المدركين بالعقل، أعني العالم السفلي كمكان (مملكة الموتى) والعالم العلوي كمكان مرجعي يشدّ إليه قيمتيْ الخير والشر والنزوع الفطري لأحدهما دون الآخر أو اكتساب هذا النزوع بالممارسة والضغط الاجتماعي.

وقراءة دوستويفسكي متعبة وشاقة وماتعة في آن معاً، فهو لا يترك القارئ إلا وقد أصابه بشيء من قلق شخصياته وحيرتهم الدائرة، لأن القارئ أيّاً كان لا يستطيع الافلات من اللوبان مع الشخصيات الغارقة في حزنها أو الباحثة عن سعادات إضافية، وما من عمل من أعمال دوستويفسكي ينتهي مع نهاية القراءة (للفصول) أو مع الخطف السامي للخاتمة (نهاية الكتاب) لأنها أعمال تورّث الأسئلة، والقلق، والتفكير، والهموم، والرغبات، والأحلام، واللوثات، والحزن، والخوف، والهواجس، والأسرار، والشرود، والمعاني، والحساسية، والتأسي،